

خطبة جمعة

الأقصى في عاشوراء (مراتب الصيام في عاشوراء)

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي
حفظه الله تعالى

النُسخة الإلكترونية (١)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: <http://www.j-eman.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

نَسَّأَ لُؤْنَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بعد..

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة.

وإنَّ تقوى الله زادكم في الآخرة والأولى؛ فتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى.

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ من أيام الله التي خلَّد ذكرها وأبقى في الآخرين خبرها؛ يوم عاشوراء.

فهو يوم نصر الله فيه وليًّا من أوليائه، وأذلَّ عدوًّا من أعدائه؛ أنجى فيه موسى عليه الصَّلاة والسَّلام =

فغلبَ وظَهَرَ، وأهلك فيه فرعونَ = فأخذه اليَمُّ وغبر؛

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ فَصْنَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولُ

فَأَخَذْتَهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ [المزمل].

وقال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحِرًا أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ

وَجُودَهُ فَتَبَدَّنْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠﴾ [الذَّارِيَات].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا

تَخْشَى ٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ٧٩﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى

مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٦٧﴾ [الشعراء].

إنَّ إنجاء موسى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وإعلاء الحق وإهلاك فرعون -عليه من الله ما استحق- فيه آيات للسائلين، وعبر للمتعتطين، تثبت المؤمنين، وتُمدِّهم بالصَّبر واليقين، وتفجّع قلوب الجبابرة المتكبرين، وتُقَضِّ مضاجعهم إلى يوم الدين، فإنَّ لكلِّ قومٍ وارث، والمؤمنون بموسى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أحقُّ وأولى، وجبابرة الأرض بفرعون أشبه وأحرى.

فمن آياتها المرشدة وعبرها الرائدة:

- أن أخذ الله شديد؛ يمهّل ولا يهمل، ثم يأخذ أخذ شديد مقتدر.
- ومنها أن الله بالمرصاد بمن عصى وتكبر وطغى وتعجّر.
- ومنها أن الله لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.
- ومنها عظمة القدرة الإلهية وتجاوزها للتصورات البشرية؛ فمهما بلغ أعداؤه من القوى فالله أقوى، ومهما علّوا في أعين الخلق فالله أعلى، والله مولانا ولا مولى لهم.
- ومنها هوان الخلق على الله إذا عصوه؛ فبينما فرعون وملؤه في جنّاتٍ وعيون وزروع ومقام كريم إذا هم هلكى بالغرق، وقد أخذهم اليمُّ بالعذاب الأليم.
- ومنها أن الله لا يخذل عباده، ولا يؤخّر نصرهم مع تحقّق أسبابه.
- ومنها أن من أعظم العقوبات للعبد أن يكون إماماً في الشرّ وداعياً إليه؛ قال الله تعالى في فرعون وملئه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْدُخُونَ إِلَى الْكَاكِ﴾ [الفصص: ٤٨].

- ومنها أن من كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه فلن يغلبه الكونُ بأجمعه.

ويعلم المسلمون اليوم بما حلَّ بالأقصى من إغلاق أبوابه، وطرد حراسه ونوابه، ومنع الصلاة فيه،

واتَّفَقَ وَقُوعُ هَذِهِ الرَّزِيَةِ عَلَى مُشَارَفِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآءَهُ الْجَبَابِرَةَ الْمُتَكَبِّرِينَ = تَنْبِيْهَاً مِنْ غَفَلَتْنَا وَإِيقَاطًا لَنَا مِنْ رَقَدَتْنَا؛ لِنَتَفَقَّدَ أَنْفُسَنَا بِأَيِّ شَيْءٍ خُفِّضَ قُدْرَتُنَا وَسَلَبَ حَقَّنَا، فَتَفَرَّقْنَا طَرَائِقَ قِدْدَا وَانْقَسَمْنَا جُمُوعًا بَدَدَا؛ لِأَنَّ تَفَقُّدَ مَوَاقِعِ الْخُلَلِ يُعَرِّفُ بِمَصَادِرِ الْعِلَلِ، وَيُمْكِنُ مِنَ الْمَدَاوِةِ وَدَفْعِ الْمُصَابِ الْجَلَلِ.

أَلَا إِنَّ الدَّاءَ وَالِدُ الدَّوَاءِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا أُولُو الْأَبْصَارِ:

عُودُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - لِدِينِكُمْ يُعَدُّ لَكُمْ مَجْدُكُمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لِي وَلَكُمْ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا حَمْدًا، وَالشُّكْرُ لَهُ تَوَالِيًا وَتَتَرُّيًّا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ لِلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

إِنَّ الْمُنَاسِبَ لِحَالِنَا مَا أَعَدَّهُ الشَّرْعُ لَنَا؛ فَقَدْ صَحَّ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» فَمَنْ السُّنَنُ الْفَاضِلَةُ وَالطَّرَائِقُ الرَّاشِدَةُ اتَّبَاعُ هَدْيِهِ ﷺ فِي صِيَامِ عَاشُورَاءَ، وَهُوَ عَاشِرُ الْمَحْرَمِ الْحَرَامِ، وَصِيَامُهُ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: صِيَامُهُ مَفْرَدًا، وَكَانَ هَذَا هُوَ فَعْلُهُ ﷺ لَمَّا كَانَ صِيَامُهُ فَرْضًا، ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ حِينَ صَامَ نَفْلًا، وَعَزَمَ آخِرَ عُمْرِهِ أَنْ يَصُومَ مَعَهُ التَّاسِعَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا صَامَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ تَعْظُمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى!؛ فَقَالَ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ بَقِيَتْ إِلَيَّ قَابِلٌ لِأَصُومَنَّ التَّاسِعَ» وَكَانَ مُحَرِّكَ عَزْمِهِ هُوَ طَلَبُ مَخَالَفَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ فَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: صُومُوا التَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ وَخَالَفُوا

اليهود.

ومخالفة أهل الكتاب مأمورٌ بها شرعاً، ويُستفاد منها تأكيد استحباب صيام التاسع مع العاشر.

وصيام يوم عاشوراء وحده مستحبٌ، وضم التاسع إليه أكد استحباباً.

والمرتبة الثانية: صيامه وصيام غيره من أيام شهر الله المحرم، وهذه المرتبة أربعة أنواع:

النوع الأول: صيامه وصيام يوم قبله؛ هو التاسع؛ فقد تقدم دليله، وأنه يُستحب استحباباً مؤكداً.

والنوع الثاني: صيامه وصيام يوم بعده؛ وهو الحادي عشر، ورُوي فيه حديثٌ لا يصحُّ عن النبي

ﷺ؛ لكن تحقيق المخالفة لأهل الكتاب لمن فاتَه أن يصوم التاسع قبل العاشر أن يصوم يوماً بعده؛ وهو الحادي عشر.

والنوع الثالث: صيامه ويوماً قبله ويوماً بعده، وهذا النوع ثلاثة أقسام:

أولها: صيام تلك الأيام الثلاثة بنية التقرب بها صفة ليوم عاشوراء؛ لأنَّ مَنْ صام عاشوراء يصوم

يوماً قبله ويوماً بعده، ولم يصحَّ فيها حديثٌ عن النبي ﷺ.

والثاني: صيام تلك الأيام الثلاثة التاسع والعاشر والحادي عشر؛ احتياطاً لتيقن موافقة صيامه يوم

عاشوراء، وهذا مستحبٌ إن شكَّ في دخول الشهر لا إن حَقَّق.

كشهرنا هذا الذي حَقَّق دخوله يوم السبت الفائت، فيكون عاشوراء منه هو يوم الاثنين، فمن

أراد أن يصوم يوماً قبله: صام الأحد، ومن أراد أن يصوم يوماً بعده: صام يوم الثلاثاء.

والثالث: صيامها بنية صيام عاشوراء وثلاثة أيام من كلِّ شهر؛ فينوي صيام ثلاثة أيام من

الشهر؛ وذلك مستحبٌ اتفاقاً، ثم يُدلج في تلك النية: نية أن يصوم يوم عاشوراء بصيام يوم قبله.

والنوع الرابع: صيامه وصيام يوم أو أكثر من شهر الله المحرم ليس قبله ولا بعده؛ كأن يصوم:

الخامس، والعاشر، والخامس عشر؛ فيكون صيام عاشوراء حينئذٍ مفرداً؛ لكن صيام شهر الله المحرم

من أفضل أنواع القرب في صيام النفل.

فالأتُّم في صفة عاشوراء -لمن أراد أن يصومه- أن يصوم التاسع والعاشر، وأن يحرص على

استدراك ما بقي من عمره رغبةً فيما أُعدَّ على هذا الصيام من عظيم أجره، إذ رجا النبي ﷺ أن يكون

صيامه مكفراً للسنة التي مضت.

فاغتنموا رحمكم الله فُسحة أعماركم، وقوة أبدانكم وبادرُوا إلى الاقتداء برسولكم ﷺ صائمين يوم عاشوراء.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا فَعْلَ الْخَيْرَاتِ وَحَبِّبْ إِلَيْنَا إِتْيَانَ الطَّاعَاتِ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رَشَدَنَا، وَقْنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لَهُذِهِ الْأُمَّةَ أَمْرًا رَشَدًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ عِبَادَكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ.

اللَّهُمَّ طَهِّرِ الْأَقْصَى مِنْ رَجَسِ الْيَهُودِ، اللَّهُمَّ طَهِّرِ الْأَقْصَى مِنْ رَجَسِ الْيَهُودِ، اللَّهُمَّ طَهِّرِ الْأَقْصَى مِنْ

رَجَسِ الْيَهُودِ.

اللَّهُمَّ نَفْسُ كُرْبِ الْمَكْرُوبِينَ، وَفَرَجُ هُمُومِ الْمُهِمُّومِينَ، وَأَقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ.

اللَّهُمَّ أَمِّنِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَوْرِهِمْ وَأَصْلِحْ أئِمَّتَهُمْ وَوَلَاةَ أُمُورِهِمْ.

اللَّهُمَّ نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكِيدِ الْفَجَارِ، اللَّهُمَّ نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْوَرِهِمْ.

اللَّهُمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ،

اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

